

الحرب البونية الأولى من خلال مؤلف بوليبيوس "التواريخ"

The first Punic War through Polybius' written work "The Histories"

د. نبيلة شلاي ، جامعة الحاج لخضر –باتنة1 nabila1997chellali@gmail.com

تاريخ الارسال: 2025-11-14 تاريخ القبول: 2026-02-12 تاريخ النشر: 01 جوان 2026

ملخص المداخلة:

تناول المؤرخون القدماء تفاصيل أحداث الحروب البونية في كتاباتهم، مثل تيتوس ليفيوس، أبيانوس و ديودور الصقلي وكذلك بوليبيوس؛ المؤرخ اليوناني الذي خصص مؤلفا أسماه "التواريخ" (Historai)، يتكون من أربعين كتابا يغطي الفترة من 264 ق.م إلى غاية 146 م. تطرق في الكتب الأولى من مؤلفه إلى الحروب البونية التي وقعت بين الرومان والقرطاجيين، والتي خصص لها ثلاثة كتب، قسم فيها الأحداث بالترتيب، فالكتاب الأول؛ يغطي أحداث الحرب إلى غاية هزيمة قرطاج وفي الكتابين الثاني والثالث يسرد لنا فيه الأحداث اللاحقة إلى غاية معركة كاناي التي كانت ضمن الحرب البونية الثانية.

الكلمات المفتاحية: بوليبيوس؛ الحرب البونية الأولى؛ الرومان؛ القرطاجيون؛ جزيرة صقلية.

Ancient historians, such as Titus Livius, Appianus, and Diodorus Siculus, also covered the details of the events of the Punic Wars in their writings. Polybius, the Greek historian, wrote a work called "Historai," consisting of forty books covering the period from 264 BC to 146 AD. In the first books of his work, he discusses the Punic Wars between the Romans and the Carthaginians, to which he devoted three books, dividing the events in order. The first book covers the events of the war up to the defeat of Carthage, while the second and third books narrate the subsequent events up to the Battle of Cannae, which was part of the Second Punic War.

The key words : Polybius ; The first Punic War ; The Romans; The Carthaginians; Sicily island.

1. مقدمة:

شهد الحوض الغربي للمتوسط في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد، تحولات وصراعات سياسية وعسكرية، كان أبرزها ظهور روما كقوة إمبراطورية معلنة عن نهاية القوى الإغريقية وبداية أفول السيطرة القرطاجية على العالم المتوسطي، وأثار هذا اهتمام العديد من المؤرخين القدامى، فراحوا يتنافسون في تدوين تاريخ وعظمة هذه الإمبراطورية، إلا أن قلة منهم من كتب بطريقة منهجية تحليلية، دون الإكتفاء بسرد الأحداث فقط ووصفها، مثلما فعل بوليبيوس المؤرخ اليوناني الذي احتجز كرهينة لدى الرومان لكنه استغل خلفيته السياسية وأصبح صديقا لنخبة الرومان، ودون كل تلك الأحداث التاريخية لكن باستخدامه لطريقة تحليل الأسباب والنتائج.

لذلك أردنا التطلع على هذا الجزء لفهم بدايات هذا المؤلف، حيث يمثل المدخل الأساسي لفهم مشروع بوليبيوس التاريخي بكامله، حيث يبرز هذا الجزء وصفا دقيقا لبداية الحروب البونية. كما تكمن أهمية هذا الكتاب في كونه لايقدم فقط مادة تاريخية محظرة للصراع القرطاجي الروماني، بل يمثل وعيا بأهمية المنهجية العلمية والنقد في التدوين التاريخي، ويجسد مرجعا مهما لفهم النظرة اليونانية إلى القوة الرومانية وكيفية صعودها.

لذلك نتساءل في الأخير هل حقق بوليبيوس الموضوعية في كتابته للتاريخ، أو إلى أي مدى تمكن هذا المؤرخ اليوناني تقديم تاريخ موضوعي وعلمي، وهل من خلال كتابه الأول الذي كان غائبا في الحقيقة عن أحداثه ولم يكن معاصرا لها تمكن من تقديم نموذج لتاريخ موضوعي تحليلي، أم أنه بقي أسير ميولاته السياسية والشخصية كونه كان صديقا للرومان.

2. الجانب الشكلي للمؤلف:

1.2. المعلومات البيبليوغرافية

الكتاب هو من تأليف المؤرخ الإغريقي "بوليبيوس" نسخة مترجمة من اللغة الأصلية وهي الإغريقية وعرف باللغة اللاتينية باسم (*Historiae*) وترجم إلى اللغة الفرنسية من قبل " دوم ثولييه" (Dom Vincent Thuillier)، الذي قسم الكتاب إلى فصول، وهي ترجمة من الإغريقية إلى اللغة الفرنسية، نشر على موقع (Remacle) باسم (*Histoire générale*)، وفي نسخ أخرى باسم (*Histoire De Polybe*).

2.2. الإطار الشكلي للكتاب

نحن لانملك نسخة ورقية من الكتاب الحقيقي، كل مالدينا هو نسخ مترجمة للكتاب، لذلك لانعرف شكله الخارجي. لكن في الفترة القديمة كانوا يستخدمون أوراق البردي التي نقلها اليونانوالرومان عن المصريين، للكتابة عليها وكذلك جلود الحيوانات أو ماسمي ب "الرق"المصنوع من جلد العجول الصغيرة أو "البرشمان" الذي تتم صناعته من جلد الغنم وهو أخشن وأكثر سمكا.. وتطوى الأوراق على شكل لفائف وتوضع في المكتبات، حتى أن الرومان كانوا يستأجرون العبيد ويعلمونهم الكتابة لكي يقوموا بنسخ تلك الكتب، لذلك كانت الكتب باهضة الثمن. كما أن هناك طريقة أخرى للكتابة وهي الكتابة على ألواح الخشب المغطاة بالشمع. بالإضافة إلى الكتابة على الكتان، وعلى أوراق ولحاء الشجر. وتستخدم الفرشاة أو قلم القصبي في الكتابة.¹

بالنسبة للنص الأصلي لكتاب بوليبيوس فقد ضاع. وبقي منه سوى مخطوطات ونسخ متفرقة، ويشرح مور (Moore) تاريخ هذه المخطوطات التي تنقل نص بوليبيوس، وقسمها إلى المخطوطات التي تمثل الكتب من الكتاب الأول إلى الخامس، ومقتطفات من الكتاب السادس إلى الكتاب الثامن عشر، والقسم الثالث أطلق عليها اسم مقتطفات قسطنطينية. كما ذكر أن أقدم المخطوطات تتواجد بمكتبة الفاتيكان، بالإضافة إلى المخطوطة الموجودة في تور، والمخطوطة الموجودة في ميونخ.²

3.2. الإطار الموضوعي للكتاب:

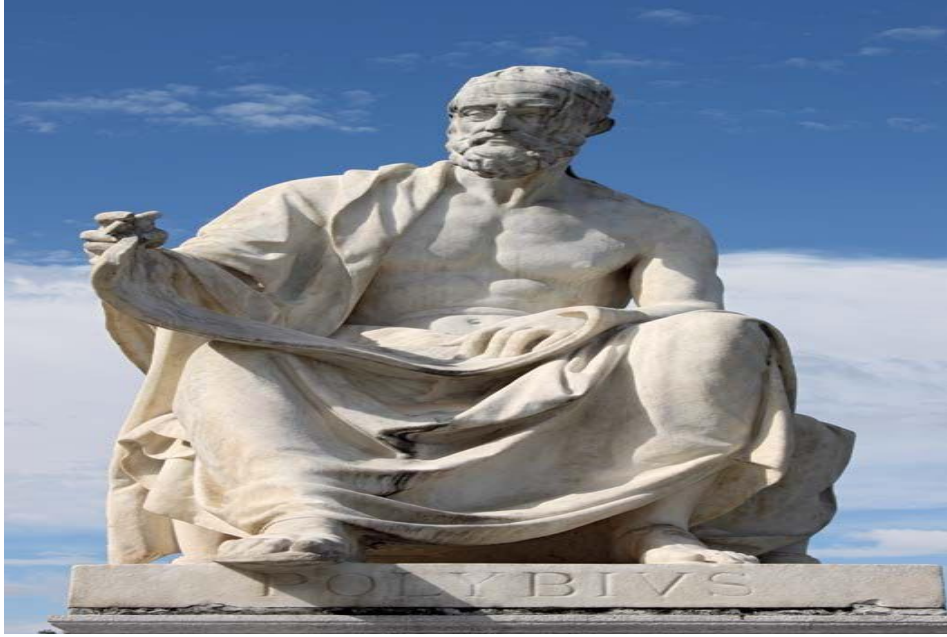
يحتوي الكتاب الأول ثمانية عشر فصلا، تبدأ أحداث الحرب البونية الأولى من الفصل الثاني إلى الفصل الرابع عشر الذي تعقد فيه الأطراف معاهدة السلام وتنتهي بذلك الحرب. وبنظام الفقرات تبدأ من الفقرة واحد إلى غاية الفقرة خمسة وستون. بعدما قسم ثوليبيالكتاب إلى فصول وضع لكل فصل عناوين رئيسية تلخص محتوى الفقرات.

3. التعريف بصاحب المؤلف:

ولد بوليبيوس سنة 200 ق.م في ميغالوبوليس (Megalopolis) أركاديا (Arcadia) في اليونان، وتوفي سنة 118 ق.م، كان رجل دولة ومؤرخا إغريقيا، كتب عن صعود روما كقوة كبرى في العالم القديم

¹ - سها بشير، الكتاب في الحقبة اليونانية والرومانية، جامعة بنها، 2019، ص 11-26.

² - Moore (J.M), The manuscript tradition of Polybius, Cambridge University press, 1965, p 171.



الملحق رقم 01: صورة تمثل تمثال لبوليبيوس في مدينة فيينا

Walbank(Frank. W),op.cit.

. هو ابن لي ليقورطاس(Lycortas)، من رجال الدولة الأخائيين البارزين، تلقى تربية تليق بأحد أبناء ملاك الأراضي، أظهر في صغره إعجابه بالقائد فيلوبويمن(philoppoemen)، فكتب عنه، وكتب عن اهتمامه بالشؤون العسكرية في مؤلف مفقود سمي "التكتيكات"، كان يحب ركوب الخيل والصيد، لكن اهتمامه بالأدب كان محدودا، واقتصر بشكل خاص على كتب التاريخ، وكانت معرفته بالفلسفة سطحية جدا¹. التحق بمجال والده فأصبح من رجال السياسة انضم إلى العصبة الأخائية أرسل إلى الإسكندرية كممثل دبلوماسيا لهذه العصبة، أجبره منصبه كمندوب فيها على الانضمام إلى العمل العسكري²، إلا أنه في سنة 168 ق.م كان لبوليبيوس من آلاف الشخصيات الأخائية الذين اقتيدوا إلى روما واحتجزوا هناك دون محاكمة، رغم ولاء الدول اليونانية لروما.³

¹- Walbank(Frank. W), Polybius, <https://www.britannica.com/biography/Polybius>. (consulté le 13/09/2025).

²- محمد البشير شني، تاريخنا القديم في كتابات اليونانيين القدماء، ط1، الدار الجزائرية، الجزائر، 2024، صص 57-58.

³- Walbank(Frank. W), op.cit.

تمكن بوليبيوس من الاندماج في المجتمع الروماني وتأسيس علاقات مع القادة العسكريين الذين قادوا الجيوش الرومانية خلال الحروب السابقة أمثال سكيبيو إميليانوس الذي كان رفيقا له في حروبه ضد قرطاجة في إسبانيا، حتى أنه احتك بالكتاب الرومان، وكان من بينهم من أرخ للحروب الرومانية، مثل: فابيوس (Fabius) وكاتوس (Catus)، قام بزيارة بلاد الغال ومقاطعات تابعة لروما، مكنه ذلك من الاطلاع على خصائصها الجغرافية والمميزات الاقتصادية والاجتماعية.¹

بعدما نال بوليبيوس صداقة القائد الروماني سكيبيو إميليانوس، فرافقه إلى إسبانيا عام 151 ق.م، كما ذهب معه إلى إفريقيا أيضا²، والتقى فيها بالملك النوميدي ماسينيسا مرات عديدة في كيرتا (قسنطينة)، ويحتمل أنه أقام في قصر الملك أيضا ما جعله يبالغ في مدحه في مؤلفه كما يرى البعض.³ كما عبر جبال الألب في الطريق ذاته الذي سلكه حنبعل أثناء عودته في إيطاليا. انتهى الاحتجاز السياسي لبوليبيوس وانضم إلى سكيبيو في قرطاج وقد حضر حصار قرطاج تدميرها عام 146 ق.م. ورد في كتاب بليينوس الأكبر "التاريخ الطبيعي" أنه قام برحلة استكشافية في المحيط الأطلسي.⁴

4. الدراسة الباطنية

الفكرة العامة:

الصراع الروماني القرطاجي على جزيرة صقلية.

1.4. محتوى الكتاب الأول:

الفصل الأول:

في الفصل الأول من هذا الكتاب، يسرد لنا بوليبيوس بدايات الحملة الأولى للرومان خارج إيطاليا، بعد تخلصهم من الغزو الغالي على روما قرروا غزو بلاد الغال، فور تخلصهم من التيرانيين والسامنيين، كما طردوا بيروس من إيطاليا هزموا كل حلفائه، وأصبحوا بذلك يسيطرون على كل شعوب إيطاليا ماعدا بلاد الغال، بعد انتهاء الرومان من هذه الحروب قاموا بمحاصرة ريغيوم، وقضوا وعاقبوا كل الخائنين فيها وأعادوا المدينة لسكانها وحصلوا بذلك على ثقة الرغيين، أما الممارتيين الذين احتلوا ميسينيا فقد قضى عليهم القائد هيرون قائد قوات مدينة سراقوسة، ونصب بعد هذا الفوز ملكا هناك في مدينته. وقد لجأ بعض الممارتيين بعد هذه الهزيمة إلى الرومان والبعض الآخر إلى القرطاجيين الذين سلموا لهم قلعتهم

¹ - محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص ص 58-59.

² - Walbank(Frank. W), op.cit.

³ - محمد الهادي حارش، دراسات وأبحاث (في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة)، ج 2، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 2023، ص 9.

⁴ - Walbank(Frank. W), op.cit.

وأنفسهم، وهنا تخوف الرومان من أن تصبح قرطاجة المسيطرة على إفريقيا والعديد من مقاطعات إيبيريا، وجميع جزر سيردينيا وتيرانيا، صقلية، ويصبحون بذلك جيرانا يشكلون تهديدا على المنطقة. ان استولوا على ميسينيا فسيصبح استيلاءهم على سرقوسة بالشيء السهل. وتؤكد بذلك الرومان أن ميسينيا هي جسر عبور للقرطاجيين إلى باقي الأراضي الصقلية والإيطالية. وبقيت المناوشات قائمة على ماسينيا، وتحالف هيرو ملك السيراكوسيين مع القرطاجيين لكن الرومان أرسلوا فوراً القائد أبيوس الذي هزم الملك هيرونواستولى على سيراكوسة.

الفصل الثاني:

يبدأ بليبيوس في سرد الأحداث الرئيسية للحرب البونية الأولى بداية بالصراع بين الرومان والقرطاجيين على جزيرة صقلية، ثم يتبعها بالحرب في إفريقيا، ويتبعها كذلك ماسيفعلهملقار برقة وصدريل في إسبانيا.

يصف بوليبيوس كلا من فيلينيوس وسوفابايوس اللذان كتبوا عن هذه الحرب غير دقيقان في نقلهما للأحداث بسبب انحياز كل واحد منهما إلى طرف من أطراف الصراع في هذه الحرب. استنكر أفعالهما ووضع أن هذه ليست من صفات المؤرخ وأن المؤرخ الحقيقي عليه أن يمدح حتى عدوه إن كان بالفعل ماقام به يستحق الثناء، فقال "فالحقيقة للتاريخ كالعيون للحيوانات، إن فقا أحد عينها أصبحتا عديمتي الفائدة، وإن أزلنا الحقيقة من التاريخ لم تعد صالحة لأي شيء".

الفصل الثالث:

تحالف ملك سرقوسة هذه المرة مع الرومان، وخفف عبأ إرسال قوات إلى صقلية، وكان ذلك بفضل القنصلين بستوميوس وكوسمامليليوس، بالقرب من أجريجنتو عسكر قوات الطرفين وبقيت المناوشات لم تحسم الحرب لأي طرف كما أن الطرفين عانا من الجوع والمجاعة لأشهر بسبب نقص التموين، أرسل حنبعل القائد القرطاجي طلبا للمساعدات إلى قرطاجة وجاءت فعلا المساعدات مع القائد القرطاجي حانو، وخاض بمساعدة الفرسان النوميدي مناوشات مع الرومان استولى على إثرها هذا الأخير على تلة طوروس المشرفة على المعسكر الروماني وأقام بها. وفي الوقت ذاته كان يتلقى رسائل من حنبعل يحتاج فيها المساعدة لذلك قرر أخيرا أن يخوض الحرب مع الرومان ليتمكن من تمرير المساعدات، لكن القوات القرطاجية لقيت هزيمة شنعاء، وبعدها شن الرومان الهجوم على مدينة أغريجنتو أين كان يقيم حنبعل واستولوا عليها كلها.

الفصل الرابع:

يقرر الرومان أخيرا نقل الحرب إلى البحر رغم قلة خبرتهم في الإبحار وصناعة السفن، لكن بعد إستيلاءهم على إحدى السفن القرطاجية، استخدموها كنموذج لبناء الأسطول الكامل للرومان، كما أنهم جمعوا جنودهم وعلموهم التجديف، لكن أول أسطول أرسله الرومان بقيادة كورنيليوس إلى ميسينيا هزم على يد القرطاجيين بقيادة قوات حنبعل. بعدما سمع الرومان قرروا شن هجوم آخر لكنهم قرروا أيضا تطوير سفنهم، فصنعوا سفنا بغربان في مقدمة السفينة، يتمكنون من خلالها بالتنقل من سفنهم إلى سفينة العدو. وبالفعل تلقى الأسطول القرطاجي هزيمة نكراء بسبب نقل الرومان الحرب من بحرية إلى برية وذلك بفضل الغربان، لقد فر حنبعل وسيطر الرومان على مدينة ماتشيليا. حملقار الذي توجه بعد هذه الحرب إلى جزيرة سيردينيا التي كان الرومان قد سبقوا حملقار إليها مباشرة بعد صناعتهم للسفن. ثم اتجه الرومان إلى مدينة باليرمو أين كان يقيم القرطاجيون واستولوا على العديد من المدن.

الفصل الخامس:

مر على الأحداث الأخيرة عام، عاد الطرفان إلى المناوشات في البحر وكانت النتيجة متساوية، أصبح الرومان يخططون للعبور إلى إفريقيا وجعلها مسرحا للحرب، جهز الرومان قواتهم البرية والبحرية، واستعد القرطاجيون للمواجهة وكانوا حسب بوليبيوس أكثر عددا من الرومان، وكان القرطاجيون هذه المرة لا يحاربون من أجل صقلية فقط بل من أجل بلادهم، وكان هانو و حملقار هم قادة هذه المعركة، لكن المعركة انتهت بهزيمة القرطاجيين على يد الرومان ووقعت سفن القرطاجيين في أيدي القوات الرومانية.

الفصل السادس:

حاصر الرومان مدينة أسبيس بعدما جهزوا أسطولهم وتركوا حامية فيها، أما السكان المحليين فقد فشلوا في صدهم وركزوا على حماية قرطاج، ونهب الجيش الروماني الريف ودمروا المنازل استعبدوا الناس، منتضرين أوامر روما. تقدم الرومان في إفريقيا بعد صدور الأوامر بقيادة "ريجولوس"، بينما جهز القرطاجيون جيشا للرد، لكنهم اختاروا موقعا سيئا لا يناسب فرسانهم لا الفيلة. استغل القائد الروماني الأمر لصالحه وهاجمهم عند الفجر، وانتصروا على القرطاجيين واستولوا على تونس التي ستكون نقطة انطلاقهم نحو قرطاج. هنا وجد القرطاجيون أنفسهم منهزمين برا وبحرا ومازادهم الطين بلة الدمار الذي أحدثه النوميد في الريف. اقترح ريغولوس السلام على القرطاجيين لكن بشروط مذلة رفضها هؤلاء مفضلين المقاومة على الخضوع والمذلة.

الفصل السابع:

وصل القائد اللاكيديموني "زانثيبي" إلى قرطاج الذي ألقى اللوم على ضعف قيادة القرطاجيين لا على قوتهم، فقرر هؤلاء تسليمه القيادة بعدما شرح لهم خطة هجومه. رفع "زانثيبي" معنويات الجيش وجيز قواته وخرج مواجهها الجيوش الرومانية، لعب الفيلة دورا مهما في هذه المعركة التي سحقت الرومان، ففاز القرطاجيون في هذه المعركة. بينت هذه المعركة أن الحكمة والتخطيط أفضل من القوة فقط، وأن التأهب والحذر الدائم شيئين لازمين في أوقات النصر. احتفل القرطاجيون بهذا النص، أما زانثيبي فقد غادر إلى موطنه، لكن الرومان عادوا مجددا بعدما جهزوا قواتهم ورفعوا حصار القرطاجيين على أسبيس.

الفصل الثامن:

عاد الرومان صيفا لمهاجمة القرطاجيين في صقلية، وفعلا حققوا انتصارا بحريا مهما لكن في طريق عودتهم، دمرت عاصفة قوية أسطولهم حيث غرقت وتحطمت مئات السفن. رغم تحذير الربانة للقادة، لكن تهوهم كلفهم أسطولا بأكمله. لذلك فجرأة الرومان التي عرفوا بها برا كلفتهم كثيرا بحرا بسبب عدم احترامهم للظروف الطبيعية. استغل القرطاجيون الأمر وحشدوا قواتهم بقيادة صديعل، بينما أعاد الرومان بناء أسطولهم بسرعة وحاصروا واستولوا على باليرمو وعادوا إلى روما تاركين فيها حامية عسكرية.

الفصل التاسع:

قاد الرومان حملة بحرية بقيادة سيمبرينيوس نحو إفريقيا، لكن بسبب قلة الخبرة علق السفن في الرمال، وتراجعت القوات الرومانية، لكن ضربت الأسطول عاصفة أغرقت كل سفنهم، لذلك قرروا التوقف عن بناء الأساطيل والتركيز على الهجمات البرية. وأرسلوا قواتهم إلى صقلية مع سفن لتنقل الإمدادات، استغل القرطاجيون هزائم الرومان لصالحهم، واستعادوا التفوق البحري، واعتمدوا على قواتهم البرية خاصة الفيلة، حيث تجنب الرومان القتال المباشر لمدة عامين، لكنه أعادوا خلالها بناء قوتهم البرية. خدع القائد الروماني سيسيليوس صديعل حينما تظاهر بالجبن والخوف ونصب له كمينا ضد الفيلة، فغلبت الحنكة الرومانية الثقة القرطاجية. أدت إصابة الفيلة إلى فوز في صفوف القرطاجيين، ما جعل سيسيليوس يستغل الأمر بالهجوم عليهم وتحقيق الانتصار في باليرمو.

الفصل العاشر:

جعل هذا الخبر الرومان يستعيدون ثقتهم؛ حيث جهزوا أسطولا وقادوا حملة لاستعادة صقلية، تحديدا إلى ليليبايوم، التي كانت تعتبر تمهيدا لغزو إفريقيا، فدافع القرطاجيون عنها بشدة، مدركين خطر استيلاء الرومان عليها. فجزيرة صقلية ذات موقع استراتيجي، تقع بالقرب من إيطاليا وإفريقيا لذلك تلعب ذدورا مهما في السيطرة على الطرق البحرية. حاصر الرومان ليليبايوم وقاتلوا بشدة لتدمير دفاعات

القرطاجيين، بينما دافع القائد أميلكون بقوة مستخدماً استراتيجيات مضادة للحصار من أجل الحفاظ على المدينة. كاد بعض الضباط المتأمرين تسليم المدينة للرومان لولا تدخل أليكسون أحد الأخيين الذي كشف خططهم، وركز على إقناع الجنود والمرتزة على الولاء. أما في قرطاج فقد أرسلت أسطولاً بقيادة هانيبال لدعم المدينة المحاصرة، وصل الأسطول الذي رفع معنويات المحاصرين، حيث استغل أميلكون الموقف لتحفيز السكان والجنود على المقاومة. وجمع القائد قواته، للهجوم على الرومان عند الفجر، فاندلعت معركة عشوائية وعنيفة بين الطرفين، رغم سقوط العديد من القتلى انسحب هانيبال وغادر إلى دريبانا للالتحاق بأذربعل، حافظت القوات الرومانية على مواقعها.

الفصل الحادي عشر:

لم تصل أي معلومات من ليليبايوم إلى القرطاجيين، لذلك أبحر هانيبال بالروودي وأخترق الحصار ودخل الميناء بسفينة صغيرة وتمكن من اختراق الحصار الروماني، وتمكن من نقل الأخبار بين قرطاج والمحاصرين، وبث الرعب في صفوف الرومان، وسر نجاحه معرفته لطرق خفية بين الكثبان الرملية عند مدخل الميناء. حاول الرومان سد هذا المدخل، لكن البحر العميق والتيارات القوية حالت دون ذلك. أوقع الرومان في آخر المطاف بالروودي الذي هزم على أيديهم، ومنعوا دخول أي سفينة إلى ليليبايوم منذ ذلك الحين. حاول المحاصرون إعادة بناء ماتم تدميره، لكنهم لم يستطيعوا التخلص من الحصار، استغلوا هبوب الرياح وأشعلوا نارا أحرقت آلات الحصار الرومانية، تكبدتهم الكثير من الخسائر، واستعادوا السيطرة على المدينة وأعادوا بناء أسوارها. وصلت قوات جديدة إلى صقلية بقيادة بوليوسكلوديوس، الذي حاول مباغته أذربعل في دريبانا الذي لم يكن مستعداً لهذا الهجوم، فأمر جنوده بتجهيز الدفاعات لمواجهة الحصار. التقت قوات الطرفين في معركة بحرية في دريبانا كانت القوات متعادلة في أول المعركة لكن القرطاجيين بدؤوا باكتساب الأفضلية. كانت الغلبة للقرطاجيين بسبب سفنهم الخفيفة التي منحتم المرونة عكس السفن الرومانية الثقيلة، التي كانت سبباً في هزيمتهم أما خصومهم.

الفصل الثاني عشر:

استمر الرومان في إصرارهم على مواصلة الحرب وأرسلوا مؤناً إلى جيش الحصار في ليليبايوم، مع لوسيوس جونيوس، جمع هذا الأخير كل سفنه من مسينيا ومن سائر صقلية، وانطلق إلى سرقوسة لينتظر باقي السفن والمؤن التي سيزودها بهم الحلفاء. لكن أذربعل أرسل أسطولاً بقيادة قرطالون، الذي دمر جزءاً من الأسطول الروماني، وحاصر قائد قرطاجي الرومان من جانب آخر فأصاب الرومان زعر كبير. قام كرتالون بعد هذا الهجوم بالتمركز على طريق هيراكليا لمراقبة أسطول الرومان ومنهم من الرسو. ثم وقعت

مناوشة بين الرومان والقرطاجيون وانسحب القرطاجيون بسبب شراسة الدفاع الروماني، قرر جونيوس الانضمام إلى الرومانيين في ليليبايوم، لكن كارثالون اعترض طريقه فلم يتمكن من الوصول إلى وجهته. لكن فجأة هبت عاصفة قلبت الموازين لصالح القرطاجيين الذين كانوا خبراء في مثل هذه الحالات، فتمكنوا من تفادي أضرار العاصفة عكس الرومان الذين تعرضوا لخسائر كبيرة، لكنهم لم يستسلموا وأكملوا في حصارهم.

الفصل الثالث عشر:

تولى هملقار برقة في السنة الثامنة عشر من الحرب البونية الأولى، قيادة الجيش القرطاجي والقوات البحرية، واستقر قرب باليرمو، وخاض معارك كبرى لمدة ثلاث سنوات مسببا خسائر كبرى للرومان، استمرت المعارك بين جونيوس الروماني وهملقار القرطاجي، كأنها منافسة شديدة بين مقاتلين أقوياء، خاض الطرفين حصارا طويلا في جبل أريكيوس، وواجهوا صعوبات كثيرة إلا أنهم بقوا متمسكين بمواقعهم، لكن بعد عامين انتهى الحصار دون انتصار واضح لأي منهما. بالرغم من هذا استمر الطرفين في القتال رغم استنزاف كل مواردهم، إلا أن الرومان استمروا رغم خسائرهم البحرية، ونجحوا في قطع الإمدادات عن القرطاجيين بفضل أسطولهم الثالث، ما أدى إلى انتصارهم في الحرب وإنهاءها أخيرا. بني الأسطول الروماني الجديد بأموال المواطنين الذي قاده القنصل لوكاتيوس، إلى صقلية، وحاصر دريبانا، مستعدا لمعركة حاسمة، أرسل القرطاجيون بدورهم أسطولا بقيادة هانو لنقل المؤن إلى مدينة إريكه والانضمام إلى حملقار، لكن الرومان أدركوا خطتهم وقطعوا طريق هانو قبل أن يصل إلى وجهته. تجرأ حملقار في وسط عاصفة هوجاء ليغتزم فرصة ويهجم على عدوه لكن الأمور لم تسري كما كان يأمل وكانت كل الظروف في صالح الرومان الذين تعلموا من حروبهم وجهزوا سفنهم جيدا، ودربوا طواقمهم وعانى القرطاجيون من سفن مثقلة ومجذفين غير مدربين، وجنود جدد يفتقرون للخبرة.

الفصل الرابع عشر:

وصلت أخبار هزيمة هانو (حانو) إلى قرطاج، وبسبب عجزهم على تقديم مساعدة اضطروا للاستسلام، واضطر هملقار على التفاوض مع الرومان على التحالف والسلام كي يحيي بلده، حتى أن الرومان خسروا الكثير في هذه الحرب لذلك وافقوا على عقد اتفاق مع القرطاجيين، ومن بين شروط التحالف أن ينسحب القرطاجيون من كل صقلية، وألا يخوضوا حروبا ضد السراقسين، ويجب عليهم إعادة جميع الأسرى الرومان دون فدية، بالإضافة إلى دفعهم جزية لمدة عشرين عاما تقدر ب 2200 تالنتايفوي من الفضة. لكن بعدها خفضت مدة السداد وأضيف ألف تالنت للمبلغ. وانتهت بذلك الحرب

بين الرومان والقرطاجيين التي استمرت لمدة 24 عاما. وبعد معاهدة السلام لاق الطرفين نفس المصير وهي الحروب الأهلية التي خاضها الرومان ضد الفالكسيين، والقرطاجيين ضد الجنود الأجانب (المرتزقة) والنوميديين والأفارقة المرتزقة في الحرب القرطاجية الرومانية حتى أنهم حاولوا طرد القرطاجيين من إفريقيا.

5. تحليل ومناقشة:

أول ما يلاحظ على الجزء الخاص بالحرب البونية الأولى في كتاب بوليبيوس، هو أنه لم يكن معاشا للأحداث في هذه الفترة حيث أنه ولد بعد معركة زاما بعامين. معاشه بوليبيوس من الحرب الرومانية القرطاجية وما سجل في كتابه قد عايش منه ما حدث بين عشية الحرب البونية الثانية وسقوط مقدونيا في أيدي الرومان (220-167 م) نهاية بسقوط قرطاجة وكونثنا (146 ق.م) أما ماسبق هذا التاريخ فقد رواها من سبقه، كذلك كتب من مصادر من سبقوه مثل تيمايوس فيليينوس الصقلي المعاصر لأحداث الحرب البونية الأولى، وأخيرا فابيوس الروماني الذي شارك تلك الحرب¹، وقد انتقد بوليبيوس هذان الأخيران بسبب تحيزهما إلى فئة دون الأخرى وعدم التزامهما بالموضوعية.²

أما بالنسبة للملاحظة الثانية فهي حول ما تحدث عنه بوليبيوس عن الموضوعية في كتابة التاريخ في الفصل الثاني من الكتاب الأول، حيث انتقد كلا من فابيوس وسوفينليوس بسبب الذاتية التي طغت على كتابتهما، إلا أن ملاحظته خلال قراءة هذه الفصول هو ميل بوليبيوس إلى الرومان، ففي كل مرة في الفترات التي يهزم فيها الرومان القرطاجيين، يفتخر بوليبيوس بإنجازهم ويتجاوز حدود المدح والثناء ليصل إلى مرتبة المبالغة، رغم أنه أيضا كان يثني على القرطاجيين ومعرفتهم بالبحر وخبرتهم في الإبحار والحرب، إلا أنه تمادى في مدحه للرومان لدرجة مبالغ فيها.

على الرغم من أنه عندما يتحدث عن الرومان يستنفر بعض عاداتهم فيقول: "لقد كانوا يفعلون ذلك غالبا"، يذكر أفعالهم الوحشية عند استيلائهم على المدن، والصراخ وضرب الدروع ببعضها عند ذهابهم إلى المعارك، وكأنه يحاول وصف تصرفاتهم بالبربرية والوحشية إلا أنه يتراجع ويصفها بالوحشية المنظمة عكس التراقيين وغيرهم، حيث أن الرومان لا يهبون ولا يدمرون إلا بعد أخذ الإذن من القادة حسب رأيه.³

¹ - محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص 61.

² - Polybius, Histoire de Polybe, traduite par : Thuillier (D.V), Ed : Pierre Gandouin, Quai des Augustins, à la Belle Image, Paris, 1727, T1, 2.

³ - Erskine (A), Making sense of the Romans: Polybius and Greek perspective, Dialogues d'histoire ancienne, 2013, pp119-120.

حتى أنه كان يبحث عن تبرئة الرومان من مسؤوليات الحرب البونية، فذهب إلى إنكار وجود المعاهدة بين الرومان والقرطاجيين سنة 306 ق.م، وألقى اللوم في قيام الحرب على القرطاجيين، خلافا للمؤرخين الرومان: حيث أن كلا من ديون كاسيوس وأراسيوس، بالرغم من اعتبارهم لقرطاجة على أنها أول من تخلى عن الاتفاقيات بينهما وتقدمت بأسطولها سنة 272 ق.م إلى ترنتوم، كما أنهم اختلقوا هذه الحادثة أيضا بدورهم لتبرئة الرومان، إلا أنهم اعترفوا بوجود تلك المعاهدات. حتى أن بوليبيوس يجعل جذور الحرب البونية الثانية تعود إلى نهاية الحرب البونية الأولى وتحديدًا إلى حملقار برقة الذي لم يتقبل الهزيمة.¹

6. أهمية المؤلف:

تكمن أهمية هذا المؤلف في كونه يتطرق إلى فترة جد مهمة من فترات التاريخ القديم، ويمكن أن نقول أنها كانت بداية نهاية أكبر قوى بحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط، ألا وهي الإمبراطورية القرطاجية لتخلفها من هي أكبر قوة وتوسعا منها ألا وهي الإمبراطورية الرومانية.

مكننا هذا المؤلف من معرفة تفاصيل الحرب البونية الأولى، والتعرف على نقاط القوة والضعف عند القرطاجيين وعند الرومان، التي جعلتهم يفوزون تارة ويهزمون تارة أخرى. حيث أن بوليبيوس كان يوجه رسائل للقارئ ويخبره أن الحكمة والتخطيط أفضل من القوة فقط، وأن التأهب والحذر الدائم شيئين لازمين في أوقات النصر.

حاول بوليبيوس في هذا الكتاب جعلنا نتعرف على أسباب انتصار الرومان، وفرض هيمنتهم على الأقوام المحيطة بهم، وفرض حضارتهم عليهم، ربما لكي يأخذها القارئ كعبرة يعتبر منها في المستقبل، أو كأن يقتدي بها بعض الممالك وأن تصنع ماصنعه الرومان قبلهم.

اعتمد بوليبيوس على منهجية علمية في كتابته، حيث اعتمد على روايات شهود العيان، وإضافته لتحليلات نقدية دون الإكتفاء بالسرد فقط. كما أن له ميزة مزدوجة منحته بعض المصداقية وهي خلفيته السياسية التي مكنته من المشاركة في الأحداث ومعرفته بالنخب الرومانية وحتى الإفريقية تسجل عليه كنقطة إيجابية تحتسب عليه وتضفي مصداقية على ما يروي.

هناك نقطة جد مهمة في كتاب بوليبيوس وهو ذكره لمقتطفات من تاريخ الأفارقة في خضم الأحداث، قبل انتقال الأحداث إلى إفريقيا، كان يذكر بوليبيوس ثورات النوميد والأفارقة ضمن أسباب تراجع

¹ - محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص ص 54-55.

القرطاجيين وتعطيهم عن متابعة الحرب، وربما هذه إشارة إلى رفض الأفارقة للنظام القرطاجي وربما هذه الثورات تنم عن رغبتهم في استعادة أراضيهم¹.

7. خاتمة:

في الأخير ومن خلال ما قمنا بدراسته، عن الحروب البونية من خلال الكتاب الأول لبوليبيوس نستنتج ما يأتي:

- قدم الرومان لأنفسهم خدمة كبيرة وفضلا باقتيادهم لبوليبيوس اليوناني إلى روما وجعله رجلا مهما فيها ومقربا من قادتها ونخبها، حيث أنه من سيجعل من تاريخهم وحروبهم وانتصاراتهم خططهم العسكرية ذاكرة خالدة للبشرية إلى يومنا هذا، ويجعلك ذلك لوهلة تعتقد أن الرهائن اليونان الذين احتجزوا في روما، تم اختيارهم لخدموا روما في المستقبل، ولم يحتجزوا بطريقة عشوائية.

- بدأت الحروب البونية حسب بوليبيوس بسبب تدخل القرطاجيين ومساعدتهم للامارتيين وتحالفهم مع ملك سرقوسة "هيرون"، لذلك تخوف الرومان من هيمنة القرطاجيين على كامل صقلية وانتقالهم إلى إيطاليا، ومن هنا بدأت المناوشات بين الطرفين لتتحول إلى حرب دامية في الأخير. غير أنه هذا خالف كل بقية المؤرخين الذين تحدثوا عن المعاهدات السابقة للحروب البونية التي انعقدت بين الرومان والقرطاجيين وكانت هي من قسمت الحدود الجغرافية بين الطرفين في صقلية.

- استمرت الحروب بين الطرفين بين منتصر ومنهزم، لكن الغلبة الكبيرة كانت للرومان حسب سرد بوليبيوس للأحداث وتفاصيل المعارك، على الرغم من الخبرة البحرية للقرطاجيين، والخبرة الحربية لكونهم قد خاضوا حروبا سابقا ضد الإغريق، إلا أن الغلبة في حربهم الأولى ضد الرومان انتهت بالهزيمة والخضوع للشروط الرومانية.

- رغم محاولة بوليبيوس كتابة التاريخ بمنهج موضوعي نقدي وتحليلي إلا أنه في الأخير وقع في الذاتية، وتمكنت علاقاته الشخصية مع الرومان أن تفرض عليه في النهاية التحيز إلى الرومان دون غيرهم في كتاباته، وهناك تحليل آخر للطريقة التي كتب بها بوليبيوس، فبحكم أنه في آخر المطاف جاء إلى روما كرهينة، فمن الطبيعي أن يجعله ذلك يحمل ضغينة ضد هذا الشعب. إلا أنه يظهر عكس ذلك في نصوصه، فرغم وصفه للتصرفات الوحشية للرومان والهمجية، واستنكاره لعاداتهم، إلا أنه لم يستطع أن يصفهم بالبربر أو المتوحشين، بل وصفهم بالمتوحشين النظاميين، وبالغ في وصف انتصاراتهم ودهائهم في الحروب. ويمكننا أن نستنتج استنتاجا شخيصيا وواضحا، لا يمكن لشخصين أن يختلفا فيه وهو أنه رغم

¹ Polybius, Loc.cit, 6.

مكانته عند الرومان، لكنه يبقى في النهاية مجرد محتجز يوناني ولانعتقد أن الرومان سيقبلون منه أي انتقاد لثقافتهم وحضارتهم التي يفتخرون بها، وكما هو معروف لدى الكتاب قديما، فهم يكتبون بغية الحصول على رضى الملوك والشخصيات المهمة في الدولة، وحتى وإن كانا رومانيا، فلا نفترض أنه من المسموح له كتابة أي شيء يسئ للدولة التي يقيم فيها أو ينتهي إليها.

- ونصل في الأخير إلى تقديم بعض التوصيات أهمها؛ إعادة قراءة التاريخ، والقراءة هنا نقصد بها التحليل والنقد للمصادر، وأن نحاول ألا نكتفي بدراسات غيرنا فقط ونأخذها كمسلمات، فقراءة غيرنا لمصدر معين لا يعني أن قراءته هي الأصح والنهائية، بل لكل شخص ميزة تمكنه من دراسة موضوع واحد فقط من عدة زوايا تجعل ذلك الموضوع يبدو مختلفا ومميزا.

8. البيبليوغرافيا:

1- قائمة المصادر:

-Polybius, Histoire de Polybe, traduite par : Thuillier (D.V), Ed : Pierre Gandouin, Quai des Augustins, à la Belle Image, Paris, 1727, T1.

2- قائمة المراجع:

- سها بشير، الكتاب في الحقبة اليونانية والرومانية، جامعة بنها، 2019.
- محمد البشير شنيقي، تاريخنا القديم في كتابات اليونانيين القدماء، ط1، الدار الجزائرية، الجزائر، 2024.
- محمد الهادي حارش، دراسات وأبحاث (في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة)، ج2، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 2023.

3- المراجع الأجنبية

- Erskine (A), Making sense of the Romans: Polybius and Greek perspective, Dialogues d'histoire ancienne, 2013.
- Moore (J.M), The manuscript tradition of Polybius, Cambridge University press, 1965.

4- مواقع الإنترنت:

- Walbank(Frank. W), Polybius, <https://www.britannica.com/biography/Polybius..> (consulté le 13/09/2025).